حيُّ الميدان الدمشقيُّ
نشأته وآثاره العمرانية

محمد راعي البلها[1]

[1] متخصص في التاريخ، باحث.

ملخَّص البحث

يتناول هذا البحث حيَّ الميدان الدمشقيَّ، باعتباره واحداً من الأحياء القديمة والعريقة في دمشق، واكب في تاريخه الطويل معظمَ العهود التاريخيّة الإسلامية التي مرّت بها مدينة دمشق، وتركت به تلك العهود شواهد هامة من معالم الحضارة وتراث الأجداد ورونق الماضي، لذلك كلّه، صار هذا الحي الدمشقي حلقة من حلقات تاريخ دمشق وحضارتها.

وتضمَّن البحث حديثًا مفصَّلاً عن العوامل المؤثرة في نمو الحي وتطوره، والآثار المعمارية وأنواعها، وما تبقى منها.

_ المقدمة:

إن حي الميدان من أكبر ضواحي دمشق في جهتها الجنوبيّة، وأقدم ذكر له كان في العهد الفاطمي، وفي العهد المملوكي بدأت الضواحي السكنية بالظهور خارج الأسوار، ومنها ضاحية الميدان التي بُدئ بعمارتها، فظهرت فيها المساجد وبعض المدارس، واشتهرت بزواياها على الخصوص.

واستمرَّت عمارة الحي في العهد العثماني، حيث تعود أكثر دور الميدان الفخمة إلى هذا العهد، ولكن للأسف تم هدم عدد كبير من هذه الدور الجميلة أواخر السبعينيات، وكان من أجملها دار الموصلي، ودار البيطار.

ويمكن القول بأن حي الميدان بدمشق يمثل نموذجًا من نماذج الحياة الاجتماعيّة الأصيلة لدمشق وعادات أهلها، التي ما تزال باقية في الحيِّ حتى اليوم.

ويتألف البحث من ثلاثة محاور، تضمَّن المحور الأول حديثًا عن العوامل المؤثرة في نمو حي الميدان وتطوره، وتناول المحور الثاني الآثارَ المعمارية وأنواعها في الحي، وخُصِّص المحور الثالث للحديث عن الآثار التاريخية العمرانية الباقية في حي الميدان.

المحور الأول: العوامل المؤثرة في ظهور حي الميدان وتطوره

كان لظهور حي الميدان في دمشق وتطوره، في العصرين المملوكي والعثماني، عوامل خاصة لا تنطبق على باقي أحياء دمشق، وأغلب المدن الإسلامية، فهو حيٌّ مُتميِّز بأسباب ظهوره، إذ لم يتطور بسبب النمو الطبيعي للمدن، أو بسبب هجرة أقوام جديدة فحسب، بل كانت له عوامل هامة وخاصة به، أسهمت في نموه وتطوره.

إن حي الميدان يظهر في كتب المؤرخين منذ القرن الثامن الهجري بوصفه حيًّا متكاملاً في المنطقة الجنوبية من دمشق، الواقعة خارج سور المدينة، وكان وراء ظهور هذا الحي وتطوره عوامل متنوعة، من أهمها[٢]:

أولًا - الميدان مكان للتدريب العسكري:

جاءت كلمة الميدان من ميدان التدريب، حيث كان في دمشق في العصر المملوكي ميدانان

2) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجيت، ص 74.

كبيران للتدريب العسكري، هما الميدان الأخضر في غرب المدينة، وميدان الحصى في جنوب المدينة، وثمة معلومات وإشارات أن ميدان الحصى كان واقعًا بالقرب من جامع منجك، في دائرة الموصلي حاليًّا، حيث تشير الوثائق العائدة إلى أواسط القرن الثامن عشر، بصورة واضحة إلى هذا القطاع بوصفه حي الميدان، ومن الطبيعي في هذه الحالة أن يكون هذا الحي قد أخذ اسمه من ميدان التدريب.

وتشير المصادر أيضًا إلى وجود زاوية للرفاعية في جنوبي حي الميدان، في نهاية العهد المملوكي وبداية العهد العثماني[٣]، ومع أن الموقع الدقيق لهذا البناء غير معروف في الوقت الحاضر، إلا أن المعطيات المتوفرة تدلُّ على أنه بالقرب من جامع الرفاعي وحمام الرفاعي، اللذين حُدد موقعهما في دائرة الموصلي، وعلاوة على ذلك، فقد أشير منذ منتصف القرن الثالث عشر إلى وجود عدد من التركمان، تم تعدادهم في العصر العثماني في قطاع الحقلة الواقع إلى الجنوب من دائرة الموصلي [٤].

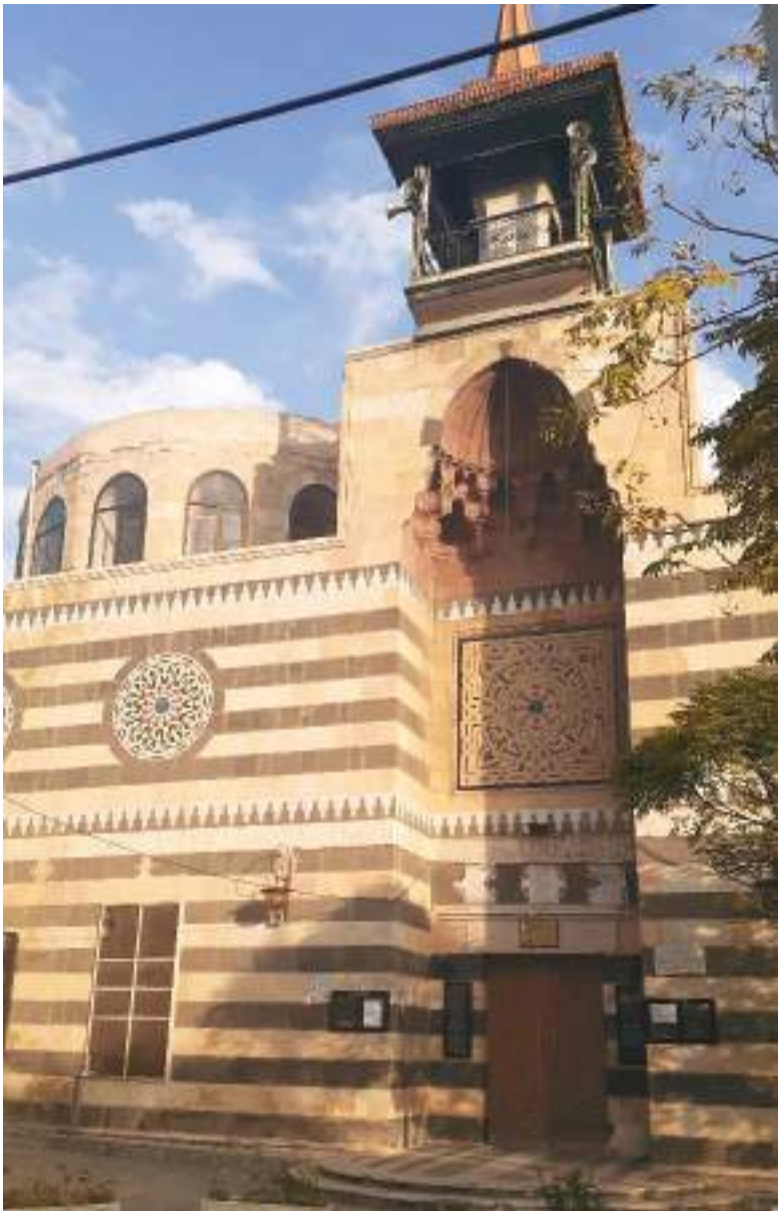

واجهة التربة التينبية، الغنية بالمقرنصات، ويظهر فيها ساكف أملس، وشريط كتابي فشريط مزرر، تعلوه حشوة هندسية مربعة، تتخللها بقايا قطع من القاشاني الأزرق، وفي وسطها شعر الأمير «رنك» الأمير تينبك مزين بالقاشاني، وتعود إلى سنة ٧٨٩هـ.

وكان هناك «برأس ميدان الحصى» قباب عائدة إلى التركمان في منتصف القرن الثالث عشر في عام ٦٦٤/ ١٢٦٥م، فيمكن القول بأن هذه القباب الصغيرة قد أعطت اسمَها إلى تجمع سكاني واقع إلى الجنوب من دمشق هو القبيبات، وعُرف هذا التجمع في عام ٨٣٤ / ١٤٣١، ولا يزال منفصلاً عن دمشق، إلا أنه أدمج فيما بعد ضمن النسيج العمراني لحي الميدان [٥].

3) الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، ج1، ص 41.
4) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 75-76، حيث كان التركمان عادة أفرادًا في الجيش.
5) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 78.

ثانيًا – الميدان: (المُصلَّى، مكان صلاة وإعلان بعض القرارات المهمة):

شكل المصلى عاملاً آخر من عوامل نشوء هذا الفضاء خارج المدينة، فمنذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الصلوات الجماعية، كصلاة العيدين، والاستسقاء، تقام خارج المدن في ساحات واسعة عُرفت باسم المصلى، وفي عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م بُنِي في القطاع الذي يعنينا جامع، هو جامع المصلى[٦]، وبقي معروفًا بهذا الاسم حتى اليوم.

وقد ظهرت وظيفته السياسية بصورة واضحة لدى الانتقال من السلطة المملوكية إلى السلطة العثمانية في دمشق، ففي ٢٨ شعبان ٩٣٣/ ٢٦ أيلول ١٥١٦م، اجتمع مشايخ الحارات في المُصلَّى وقرروا « تسليم البلد » للعثمانيين[٧].

وظل المُصلَّى في العصر العثماني معروفًا بوصفه مكانًا تقام فيه الصلوات الجماعية، كصلاة الاستسقاء في فترات احتباس المطر، كما حدث في عام ١٠٧٣هـ /١٦٦٣م[٨]، أو الصلوات التي تتصل بالحياة السياسية في الدولة العثمانية وبعلاقاتها الخارجية، ففي عام ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م، على سبيل المثال، توجَّه قسم كبير من سكان دمشق إلى المصلى، كي يتضرعوا إلى الله أن ينصر العثمانيين لدى فرضهم الحصار على جزيرة كريت[٩]، وبذلك أصبح المصلى مكانًا مشهورًا بإجابة الدعاء فيه، خصوصًا في أعقاب الزلزال الذي وقع في عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م[١٠].

ثالثًا- المقابر:

شكَّلت المقابر عاملاً آخر من عوامل نشوء حي الميدان وتطوره، حيث يقع إلى الجنوب من المصلى ضريح صهيب الرومي، الذي رُمِّم في عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م[١١]، وأصبح مزارًا للمسافرين القادمين إلى المدينة، وقد أقيمت أضرحة أخرى (ضريح أبو البرغل، وضريح الجنيد العسكري، وضريح محمد القرشي) في هذا المكان، الذي تطبَّع بطابع ديني واضح لكونه ضم رفات شخصيات دينية مشهورة.

وتوجد حاليًا ثلاث مقابر في حي الميدان [١٢]، لكنها لم تكن لها تلك الصفة الدينية في المصادر العائدة إلى العصور الوسطى، باستثناء مقبرة القبيبات الواقعة إلى الجنوب من جامع كريم الدين، وقد امتلك أفراد كثيرون قبورًا في جنوب دمشق، رغم أن بعضهم كان يقطن في الجهة المقابلة لحي الميدان، على سفح جبل قاسيون، ومن هؤلاء أحد القضاة في الجامع الأموي، الذي دُفن في نهاية القرن السابع / الثالث عشر، عام ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م، في الميدان، بناء على رغبة سجَّلها في وصيته[١٣].

6) منادمة الأطلال، بدران، عبد القادر، ص 389. خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص310.
7) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ابن طولون، ج2، ص 28.
8) صفحات في تاريخ دمشق في القرن الحادي عشر الهجري، كناش إسماعيل المحاسني، ص 131.
9) صفحات في تاريخ دمشق في القرن الحادي عشر الهجري، كناش إسماعيل المحاسني، ص 140.
10) ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، ص 225.
11) ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، ص 230.
12) إن أهم مقبرة من هذه المقابر الثلاث هي مقبرة باب الله، وهذه المقبرة هي الأبعد عن مركز المدينة، وتمتد على طول 400م، ثم تأتي بعدها من حيث الاتساع مقبرة الحقلة (130× 150م)، ثم مقبرة الجورة (180× 80م).
13) كتاب تالي وفيات الأعيان، ابن الصقاعي، ص123، جاء فيه " 189 شرف الدين عمر بن خواجا إمام، الفارسي العدل الناسخ المعروف بالياغُرت، كان من الكتاب الملاح، سلك طريقة حسنة في العدالة، سكن بقاسيون، وفي كل يوم يحضر إلى المدينة يجلس في مسجد ينسخ ويشهد في مكانه وعلى القضاة، توفي في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وستمئة بجبل قاسيون، ودفن بميدان الحصى بوصية منه".

واجهة مسجد الخانقية بعد هدم قسم كبير منه

وفي هذا الحي كانت تُستقبل الشخصيات الرسمية، وكان بفضل موقعه على أطراف المدينة مسرحًا لمعارك دموية، حيث شكّل مسرحًا لمواجهات بين جيوش متنافسة، ففي العهد الفاطمي (القرن الرابع / العاشر) أُشير إلى حملة تعبئة عسكرية نُظمت فيه بهدف حماية المدينة من هجمات الأعداء، وكان مسرحًا لمعارك حالت دون توجُّه سكان دمشق إلى المصلى لإقامة الصلاة، كما شهد عدداً من النشاطات الحربية إبّان العهدين الزنكي والأيوبي (القرن السادس / الثاني عشر).

ومنذ نهاية القرن الثامن / الرابع عشر، صارت صورة الميدان، باعتباره حيًّا مسكونًا، ترتسم شيئًا فشيئًا، حيث أخذ يتشكل تدريجيًّا كحي من أحياء المدينة في لحظة مفصلية من تاريخ القرن الثامن / الرابع عشر، والآثار المعمارية القائمة فيه، وكذلك الإشارات إلى وجود سكان قطنوه، هما شاهدان على ذلك[١٤].

رابعًا – دور قافلة الحج وتجارة الحبوب في تطور حي الميدان:

إن دور قافلة الحج وتجارة الحبوب قد تبدَّى، في حي الميدان، بشكل جلي من خلال الآثار المعمارية التي خلفها هذا النشاط التجاري على امتداد الشريان الرئيسي للحي، وتمثلت بالبوائك، وهي أبنية متعددة الاستخدامات، وأهمها أنها معدة لحفظ الغلال وبيعها[١٥].

وبوجه عام فإن وجود هذه البوائك على امتداد طريق حوران يجد تفسيره في العلاقات التجارية المزدهرة التي كان الميدان يقيمها مع تلك المنطقة الزراعية، حيث كانت كمية كبيرة من حبوب حوران تُنقل إلى حي الميدان، وكان تجار الحبوب يُقيمون في حي الميدان، بالقرب من

14) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجيت، ص 80.
15) غرائب البدائع وعجائب الوقائع، ابن الصديق، حسن، ص 46. حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجيت، ص 108.

بوائكهم المستخدمة في تخزين الحبوب على طريق الحج[١٦].

وأيًّا كان مصدر هذا القمح، فإن بناء البوائك على امتداد الشريان الرئيسي للحي أضفى على هذا الحي خصوصية، وخلع على دمشق طابعًا خاصًّا بين المدن العثمانية الكبرى.

ويرى سوفاجيه أن كل ما يتعلَّق بالحج من مظاهر التجارة يتمركز على طريق مكة، فتظهر هناك خارج الباب الغربي مجموعة من الأسواق يجد فيها المسافرون وأرباب القوافل وباعة القمح من الفلاحين وأصحاب الإبل من البدو كل ما يحتاجونه من ثياب وأحذية ومعدات سفر، وعلى الطريق التي تؤدي إلى الحجاز تتتابع مستودعات القمح دون انقطاع بين المشاهد المبنية في عهد المماليك، فتُؤلِّف ضاحية يبلغ طولها الثلاثة كيلو مترات، تنمو فتطغى على قرية صغيرة تُدعى القبيبات، أي القباب الصغيرة، كان يسكنها زراع الأراضي المجاورة، ثم ما لبثت تلك الضاحية أن دُعيت «الميدان» نسبة لميدان الحصى القديم، القريب منها، وسُمِّي طرفها الجنوبي (باب اللّه)، وهو المحل الذي يترك فيه الحجاج مدينة دمشق متجهين نحو البيت الحرام[١٧].

خامسًا - وحدة مكانية تميزت مع مرور الزمن:

إن ظهور باب في قطاع القبيبات، في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر [١٨]، دل على اندماج الحي مع المدينة، فقد أشار أحد الرحالة، وهو الشيخ إبراهيم الخياري[١٩]، أن هذا الباب كان مفتوحًا عند وصوله إلى دمشق عام ١٦٦٩م[٢٠]، كذلك فإن الشخصيات المهمة التي كانت تغادر دمشق كان يجري مرافقتها حتى باب اللّه، الذي شكل حدًّا لفضاء المدينة العمراني[٢١]، وفي نهاية القرن التاسع عشر أشار (ألفرد .فون كريمر)[٢٢] إلى وجود هذا الباب بالقرب من الزاوية السعدية، وأنه يُمثِّل الحدَّ الذي ينتهي عنده حي الميدان، ووصفه بأنه مبني من الحجارة، ومزود في جزئه العلوي بكوى لرمي العدو وبموقع حراسة، غير أن (أ .فون كريمر) شكّك في قدرة هذا الباب على الصمود وحماية المدينة، وزعم أن من الممكن تدميره ببضع قذائف مدفعية[٢٣].

وفي القرون اللاحقة، مثّل هذا الباب حدًّا فاصلاً لفضاء نال مكانة مهمة لدى مختلف ولاة دمشق، وهو ما تجلى في أعمال الترميم التي كانت تتم بمبادرتهم، وهكذا فإن جنفلي عثمان باشا[٢٤] قام في عام ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م بإعادة رصف الطريق الممتد من جامع السنانية إلى باب

16) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 110.
17) دمشق الشام، سوفاجيه، جان، ص45.
18) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ابن طولون، ج1، ص 191
19) إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (ت 1083هـ/ 1672م)، أصله من مصر سكن المدينة المنورة، رحل إلى دمشق والآستانة، وصنف رحلة سماها تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، توفي بالمدينة المنورة. المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 1/ 25.
20) تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، الخياري، إبراهيم، ص 96.
21) صفحات في تاريخ دمشق في القرن الحادي عشر الهجري، كناش إسماعيل المحاسني، ص102.
22) -ألفرد فون كريمي (1243-1306هـ/ 1828-1889م)، مستشرق وسياسي نمساوي، نشر كتبًا عدة عن الإسلام والثقافة الإسلامية، زار دمشق بين عامي (1849-1851م)، ودرس أوابدها، ووضع كتابًا أسماه (طوبوغرافية دمشق) نشره في جزأين في فينا عام 1854م، وهو من أهم المصادر عن تاريخ دمشق في تلك الفترة، حيث وصف دمشق ومناخها وموقعها ونظام توزيع المياه فيها، وأوابدها التراثية وآثارها المتعددة.
23) مارينو، د. بريجبت، حي الميدان في العصر العثماني، ص 132.
24) تولى دمشق سنة 1048 هـ حتى 1050هـ. ولاة دمشق في العهد العثماني، المنجد، صلاح الدين، ص33.

الله [٢٥].

وفي عام ١١٦٥م قام أسعد باشا العظم[٢٦] برصف الطريق الممتد من باب المصلى حتى باب الله [٢٧]، الذي تمرُّ عليه قافلة الحج، التي كان والي دمشق مسؤولاً عنها وقتئذ.

ومهما يكن من أمر فإن أقوال الإخباريين تُشير إلى توسُّع الحي حتى باب الله، ولدى الهجوم الذي شنه الوالي الباشا عبد الله باشا الشتجي[٢٨] على الميدان في شهر ربيع الثاني ١١٧١هـ / ١٧٥٧م تجاوزت المعركة حد باب الله، فقد ذكر بديري الحلاق: « ولم يضرب هو وعسكره بالسيف إلى أن وصلوا خارج باب الله فقتلوا خلقًا كثيرًا »[٢٩]، وكان الأهالي يحتشدون على جانبي الطريق الممتد من باب الله حتى أسوار المدينة للتعبير عن فرحتهم بوصول والٍ جديد، فقد أقيمت الزينات « بدءًا من باب الله » في شهر ربيع الثاني ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م احتفالاً بوصول الوالي كنج يوسف باشا[٣٠].

واجهة مسجد أراق السلحدار ٧٥٠ هـ: في الميدان التحتاني وهو في الواقع تربة الأمير أراق السلحدار المملوكي، وفيها المقرنصات التي تعلوها طاسة شعاعية فوقها زخارف متعددة الألوان، وفوقها ساكف حجري منقوش

يذكر البديري الحلاق[٣١] أن والي الشام أسعد باشا العظم، الذي ولي خلال السنوات (١١٦٥ – ١١٧٠هـ / ١٧٥٢ – ١٧٥٧م)[٣٢]، عمر طريق الميدان من باب المصلى حتى باب الله، ولم يظلم أحدًا بذلك ولا أخذ من أحدًا شيئًا.

25) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجيت، ص 133.
26) تولى دمشق سنة 1165ه حتى 1170هـ. ولاة دمشق في العهد العثماني، صلاح الدين، ص 79.
27) حوادث دمشق اليومية، الحلاق، أحمد البديري، ص 121.
28) عبدي باشا الجيته جي والي دمشق العثماني من سنة 1171 هـ / 1757م حتى 1173هـ/1800م. ولاة دمشق في العهد العثماني، صلاح الدين، ص 81.
29) حوادث دمشق اليومية، الحلاق، أحمد البديري، ص 214.
30) حوادث بلاد الشام، العبد، حسن آغا، ص 134
31) حوادث دمشق اليومية، الحلاق،أحمد البديري، ص 167.
32) ولاة دمشق في العهد العثماني، المنجد، صلاح الدين، ص 79.

كما يروي القساطلي[٣٣] أن الوالي راشد باشا، الذي ولي خلال السنوات (١٢٨٣ - ١٢٨٨هـ/ ١٨٦٦-١٨٧١م)[٣٤]، حسّن طريق الميدان، فصار صالحًا لسير المركبات وزرع على جانبيه الشجر.

سادسًا - إدماج الحي في نظام الدفاع عن المدينة:

كان الميدان، بسبب موقعه الجغرافي، هدفًا لهجمات كثيرة، وقد جرت محاولات منذ مطلع القرن العاشر نهاية القرن الخامس عشر لإدماج الميدان في نظام الدفاع عن المدينة، وهكذا أُقيمت في عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م، الأساسات لسور في رأس القبيبات[٣٥]، وذُكر في عام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م « بناء سور بأبواب بأواخر العمائر آخر القبيبات»[٣٦]، وفي العصر العثماني ورد ذكر بوابات أخرى تُفضي إلى محلات أو تُؤدي إلى الريف[٣٧].

كذلك فقد وُجدت أبواب أخرى في الميدان، ففي السنوات ١٨٢٧ - ١٨٣٠م، ورد في وثائق المحفوظات، ذكر بوابة الزفتية على مقربة من زقاق الجورة وزقاق المسلخ، كما كشفت خارطة وضعها الجيش الفرنسي في المشرق، في عام ١٩١٩م، عن وجود أبواب أخرى على الأطراف الخارجية للحي، مطلة على الريف، ففي القطاع الوسطاني من الحي كان يقع إلى الغرب «باب الحطب»، وإلى الشرق «باب الجوانية»، و«باب فيصلية»، غير أننا نجهل تاريخ بناء هذه الأبواب.

وقد ورد أيضًا ذكر عدد من الأبواب في وسط الحي، مطلة على زقاقات معينة، ففي السنوات ١٨٢٠-١٨٣٠م، كان هناك باب لزقاقين من أزقة مقسم الميدان هما: زقاق المحمص[٣٨]، وزقاق العسكري[٣٩]، وكذلك ذُكر ثلاثة أبواب في محلة باب المصلى، في السنوات ١٩٣٠ - ١٩٤٠م، واقعة في الشمال والشرق والجنوب، وكان الباب الواقع في شمال المحلة، والذي كان قائمًا في تلك السنوات، يُغلَق في الساعة التاسعة مساءً[٤٠]، كما أُشير أيضًا إلى وجود خمسة أبواب في القطاع الوسطاني لحي الميدان، كانت تُغلَق في الساعة العاشرة مساءً[٤١]، وعلى أية حال فإن آثار باب زقاق القرشي وباب زقاق الجورة ما تزال بادية للعيان حتى اليوم.

سابعًا – حدود حي الميدان:

اشتهر في العصر المملوكي أربعة أحياء تقع جنوب دمشق على طريق الحجاج، وهي: «السويقة، والمصلّى، وميدان الحصى، والقبيبات»[٤٢].

وهذه الأحياء هي التي تُشكِّل حيَّ الميدان:

السويقة: تقع جنوب قصر حجاج، ظاهر باب الجابية، وهي أول الميدان، وبها التكية

33) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، القساطلي، نعمان، ص99.
34) ولاة دمشق في العهد العثماني، المنجد، صلاح الدين، ص 93.
35) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ابن طولون، ج1، ص 189، 191.
36) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ابن طولون، ج1، ص 282
37) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 91.
38) حوادث بلاد الشام، العبد، حسن آغا، ص 313
39) حوادث بلاد الشام، العبد، حسن آغا، ص 297
40) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 133.
41) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 134.
42) دمشق بين عصر العثمانيين والمماليك، العلبي،أكرم، ص 62.

المرادية.

المصلَّى: يقع جنوب السويقة، وكان مصلى العيدين والاستسقاء، ويُسمَّى اليوم باب المصلى.

ميدان الحصى: ويقع جنوب المصلَّى، ويُسمَّى اليوم «الميدان التحتاني».

القبيبات: تقع جنوب ميدان الحصى، وتُعرَف اليوم بـ«الميدان الفوقاني».

وكان لهذه الأحياء دور كبير في الحياة العامة لدمشق.

وقد كانت دمشق، في العصر العثماني، مقسمة إلى ثمانية أقسام، وكان حي الميدان يشكل قسمين من هذه الأقسام، حيث جاء في المصادر: (ثُمن الميدان التحتاني[٤٣] الذي عرضه شرقًا بغرب من مقبرة باب الصغير إلى ملاصقة محلة قبر عاتكة وقبر الولي الصالح والقطب الفالح سيدي الشيخ علي الغواص الرفاعي قدس الله سره العالي، وطوله قبلة بشمال من ملاصقة ثمن الميدان الفوقاني إلى ملاصقة ثمن القنوات على العرض.

وفي الثمن المذكور من الجوامع: جامع الصابونية، وجامع الشيخ حسن آل سعد الدين، وجامع السويقة[٤٤]، وجامع المصلى، وجامع النارنج[٤٥]، وجامع منجك، وجامع الرفاعي، وجامع الشيخ

محراب مسجد فلوس، يعود للعصر الفاطمي، والمحراب فيه نقوش جصية نباتية نادرة

43) الميدان التحتاني: استوطنه في القرن السادس الهجري نبلاء وأمراء الأتراك الأتابكية والأكراد أرباب الدولة النورية الآتين من الموصل شمال العراق، وأصبحت ناحية تعرف (ناحية الموصلي).

44) أحد المساجد في حي السويقة المحروقة غربي مسجد باب المصلى.

45) مسجد مهدوم أُقيم محله مخفر للشرطة.

صهيب، وجامع جوبان[٤٦]، وجامع بشارة[٤٧]، وجملة مساجد ومدارس وحمامات.

الثمن الرابع: (الميدان الفوقاني): الذي عرضه شرقًا بغرب من ساحة الزفتية والمحلة المعروفة بالقاعة إلى طريق صف الجوز الموصل إلى قرية القدم الشريفة، وطوله قبلة بشمال من باب مصر المعروف ببوابة اللّٰه الكائن في آخر ميدان الحصى الملاصق للمقبرة المدفون فيها سيدي الشيخ تقي الدين الحصني، إلى ملاصقة ثمن الميدان التحتاني على عرضه، وبالثمن المذكور من الجوامع: جامع الدقاق، وجامع السلطان أحمد الغازي، وجامع الكنجلية، وجامع التينبية، وجامع الحلاج، وجملة مساجد ومدارس وزوايا)[٤٨].

ثم مع بداية عهد الاستقلال تغيَّرت حدود الحي، حيث امتدَّ حيُّ الميدان من الشمال إلى الجنوب بطول نحو (٢٣٠٠) م، بدءًا من مفرق خان المغاربة حتى بوابة مصر (ساحة الأشمر الحالية)، ويقال لهذا الموضع أحيانًا بوابة اللّٰه، وتوضَّعت على جانبيه المنشآت الدينية، ومستودعات الحبوب التي تُعرف بالبوايك، ومفردها بايكة، وكل واحدة منها مقسمة إلى حجرات صغيرة تُسمَّى (مقالب) و(حوش)، لاستضافة الحيوانات الناقلة للحبوب، ومن أشهر هذه البوايك: بايكة آل النوري وآل المهايني وغيرها [٤٩].

واليوم يُقسم حيّ الميدان إلى ثلاثة أقسام: الميدان التحتاني، محلّة باب المصلّى وما يليها، ثم الميدان الوسطاني، وبعده الميدان الفوقاني عند بوابة اللّٰه. ويشقّها طريق الحجّ المعروف باسم الدّرب السّلطاني والطريق العظمى.

وأما الميدان الفوقاني فيقع في منتهى المدينة من جهة القبلة، ويمتدّ من سوق الجزماتيّة إلى بوّابة اللّٰه (باب مصر)، ويضمّ من الأحياء والمحال: سوق الجزماتيّة، الحقلة، ساحة عصفور، ساحة بحصيص، والراقية، وزقاق الطالع، وزقاق البرج، وزقاق الماء، وزقاق أبي حبل، والمشارفة، والحارس، والجمّالة، والغلاينية، والنصارى، وزقاق قيصر.

المحور الثاني: الآثار المعمارية وأنواعها في حي الميدان

تمثَّلت هذه الأبنية في الأنواع التالية[٥٠]:

أولًا: الأبنية الدينية:

أ- المساجد الكبرى: وتتمثل في جامع منجك، وجامع كريم الدين[٥١].

ب- الأضرحة: ساهم عدد من الأمراء المماليك في التطوير المعماري لطريق الميدان، فعلى مدى قرن كامل، منذ مطلع القرن الثامن / الرابع عشر وحتى مطلع القرن التاسع / الخامس عشر، شاد الأمراء المماليك في دمشق على طول الطريق التي تعبر حي الميدان متجهة

46) مهدوم ومحله مقبرة عائلية.
47) مهدوم ومحله اليوم دوار ساحة باب المصلى المركزي.
48) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، عربي كاتبي الصيادي، محمد عز الدين بن حسين، ص 100-104.
49) مدينة دمشق، جبر، صفوح، ص 210
50) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 80.
51) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 81.

نحو الجنوب أضرحة مخصصة للاستخدام كمدافن لهم، حيث شُيِّد أحد عشر ضريحًا ما بين الأعوام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م و٨٢٣ هـ / ١٤٤٢م، ويضاف إلى هذه المشيدات، التي نجهل غالبًا موقعها الدقيق، ضريحان آخران ضمتهما زاويتان، هما ضريح اشقتامور المارديني (المتوفى عام ٧٩١هـ / ١٣٨٩م) الذي ضمته الزاوية الرشيدية[٥٢]، وضريح إينال الجكمي (المتوفى عام ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م) الذي ضمته الزاوية الجباوية[٥٣].

واجهة حمام فتحي في الميدان الوسطاني الغنية بالزخارف الهندسية الجميلة، والمداميك الموزعة بالتناوب المسماة بالأبلق

ج- الزوايا:

إضافة إلى الجوامع والأضرحة شكلت الزوايا مَعْلَمًا مُهمًّا للحياة الدينية في الميدان، حيث أُقيمت عدة زوايا في العصر المملوكي، منها الرفاعية والرشيدية والموصلية والجباوية[٥٤].

ثانيًا: الأبنية المدنية:

أ- الحمامات:

شكلت الحمامات مؤشرًا على نمو حي الميدان، ووجدت في وقت من الأوقات تسعة حمامات في الميدان، ويبقى تاريخ بناء ثلاثة منها هي حمام الشيخ حسن في باب المصلى وحمام التوتة والحمام الجديد في القبيبات مجهولاً[٥٥]، ويعود بناء ثلاثة حمامات أخرى إلى العصر المملوكي، وهي حمام سنقر (القرن الثالث عشر) في الجزء الشمالي للحي بالقرب من باب المصلى، وحمام الموصلي (نهاية القرن الرابع عشر) [٥٦]، في الجزء الجنوبي للحي، وفي العصر العثماني بُنيت ثلاثة حمامات جديدة (حمام الرفاعي وحمام فتحي وحمام عقيل)، وذلك تجاوبًا مع حاجات سكان كانوا في طور التوسع[٥٧].

52) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 82.
53) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 82.
54) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 84.
55) الحمامات الدمشقية، كيال، منبر، ص 122.
56) الحمامات الدمشقية، كيال، منبر، ص 122.
57) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 88.

ب- الخانات: ورد في نهاية القرن الخامس عشر ذكر عدة خانات على طول الطريق المتجهة إلى القبيبات، منها خان القبيبات، وخان السومر، وخان المنصور، وخان القصبة، وخان المغاربة في السويقة، وهذا يدل على إقامة سكان مغاربة في هذا المكان، لكننا نجهل تاريخ بناء هذا الخان، ولا نعلم سوى أنه كان قائمًا في عام ١٧٧١م [٥٨].

ج- البوائك: إن البوائك في الميدان من الآثار المعمارية التي خلَّفها هذا النشاط التجاري على امتداد الشريان الرئيسي للحي.

وطوال العصر العثماني كان لهذه البوائك استخدامات متعددة، ومع ذلك، فإن غالبيتها قد استُخدمت لتخزين القمح (بائكة معدة لوضع القمح)، كما استُخدمت أحيانًا لبيع المنتجات الزراعية (بائكة معدة لبيع الغلال) [٥٩].

وذكرت (مارينو، د. بريجبت) أنها أحصت قرابة ستين بائكة، غير أن عمليات الهدم التي طاولت النسيج العمراني القديم تحملنا على الاعتقاد بأن عدد البوائك كان أكبر من ذلك، فيما مضى، و البائكة بناء «مستطيل الشكل، يستند سقفه إلى عوارض من خشب الصفصاف، محمولة على أقواس فاصلة، ذات فتحات كبيرة، وترتفع نقطة ارتكازها على الأرض قرابة متر ونصف»[٦٠]، أما موقع هذه البوائك فقد كان في الأغلب على الشريان الرئيسي للحي[٦١].

ثالثًا - الكنائس: يوجد في حي الميدان ثلاث كنائس بُنيت في الحي إبان النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكانت إحدى هذه الكنائس، وهي كنيسة كاثوليكية، قد بُنيت في عام ١٨٣٤م في محلة باب المصلى، أما الكنيستان الأخريان، الأولى كاثوليكية والثانية أرثوذكسية، فقد شُيِّدتا عام ١٨٣٣ وعام ١٨٤٠م في قطاع القرشي إلى الشمال من مقسم سوق الميدان[٦٢].

المحور الثالث: الآثار التاريخية العمرانية الباقية في حي الميدان

ومن أهم المشيدات المعمارية التي ما زالت باقية، منها:

١- مسجد آراق السلحدار ٧٥٠ هـ: في الميدان التحتاني على يمين الطريق، شمال حمام فتحي، وهو في الواقع تربة الأمير آراق السلحدار المملوكي[٦٣].

وتتمتع التربة بواجهة مرتفعة معقودة بالمقرنصات تعلوها طاسة شعاعية فوقها زخارف متعددة الألوان، وفوقها ساكف حجري منقوش يحمل النص التالي: أنشأ هذه التربة المباركة العبد الفقير إلى الله آراق السلحدار نائب السلطنة الشريفة بصفد المحروسة...[٦٤].

58) غرائب البدائع وعجائب الوقائع، ابن الصديق، حسن، ص 45.
59) غرائب البدائع وعجائب الوقائع، ابن الصديق، حسن، ص46.
60) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 109.
61) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 109.
62) حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ص 372. معجم دمشق التاريخي، الشهابي، قتيبة، ج2، ص 149. الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، القساطلي، نعمان، ص 102
63) خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 308
64) الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص 90، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص204. ثمار المقاصد، ابن عبد الهادي، ص 192، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، الريحاوي، عبد القادر، ص 169.

بائكة في الميدان الوسطاني، وهي من البوائك النادرة التي ما تزال على وضعها الأصلي

٢- جامع باب المصلى

٤٩٧ هـ: أو جامع المصلى، بُني في ميدان الحصى، ولا يُعرف تاريخ بنائه الأول، غير أنه عثر فيه على حاجز خشبي ثمين مؤرخ بسنة ٤٩٧هـ[٦٥]، ولذلك يُرجَّح أنه من العصر السلجوقي.

وقد خرب المسجد في الفتن الكثيرة التي تعرَّضت لها دمشق [٦٦]، فأمر الملك العادل سيف الدين بتجديده سنة ٦٠٦هـ، وبُوشر بذلك في شوال من العام التالي.

وقد جُدِّد المسجد سنة ٧٤٠ هـ في آخر أيام الملك الناصر ونائبه على الشام الأمير تنكز، كما جُدِّد في العصر العثماني سنة ١٢١٧هـ، وسقفه يشبه سقف الجامع الأموي، والمسجد ما يزال إلى اليوم أكبر مسجد في دمشق بعد الجامع الأموي، ولم يبق من بنائه الأيوبي إلا قاعدة المئذنة [٦٧].

٣- جامع تنبك ٧٩٨ هـ: (حي الميدان الفوقاني، شرقي الطريق، ويُعرف بالتربة التينبية وتربة تنبك، بناه نائب دمشق تنبك أو تنم، من مماليك السلطان برقوق، سنة ٧٩٨هـ، ودُفن فيه.

وذكر كارل أن بناءه كان سنة ٦٨٣هـ، وأخطأ في تحديد موقعه فجعله في غرب الطريق، والجامع معروف ومشهور[٦٨].

والتربة مشيدة بالمداميك الحجرية ذات الألوان المتناوبة (الأبلق)، تتوسطها بوابة مرتفعة معقودة بالمقرنصات، تعلوها طاسة محززة، وفوق الباب ساكف أملس، فمدماك من الحجارة المزررة، فشريط كتابي، فشريط مزرَّر، تعلوه حشوة هندسية مربعة، تتخلَّلها بقايا قطع من القاشاني الأزرق، وفي وسطها شعر الأمير «رنك» الأمير تينبك مزين بالقاشاني[٦٩].

65) العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، الريحاوي، عبد القادر، ص101.
66) ذيل الروضتين، أبو شامة، بيروت، دار الجيل، د.ت، ج1، ص 67
67) خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 310
68) الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص 307، خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص315.
69) الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص92، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص207. ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ابن عبد الهادي، ص 204، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، الريحاوي، عبد القادر، ص 174، خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 315.

٤- جامع الدقاق ٧١٨ هـ: ويُعرف بجامع كريم الدين أو الكريمي، وجامع القبيبات، ويقع في الميدان الفوقاني شرقي الطريق العام مقابل حمام الدرب، بناه القاضي كريم الدين بن عبد الكريم بن هبة الله[٧٠].

أما الجامع فقد أُمر ببنائه في عاشر صفر سنة ٧١٨هـ، وبوشر به فورًا، فانتهى في شعبان من العام نفسه، وأُلقيت فيه الخطبة الأولى في ١٧ شعبان بعد أسبوع واحد من اكتمال جامع تنكز، ثم اشترى له نهرًا وأجراه إليه ففرح به الناس ونصبوا عليه الأشجار، وعمل حوضًا كبيرًا بجانب الجامع يشرب منه الناس والأنعام[٧١].

وفي سنة ١٣٥٠هـ جدَّدته الأوقاف وبنت له دكاكين على الشارع العام [٧٢].

٥- جامع الرفاعي ٩٦٠هـ: مسجد لطيف، يقع في الميدان الوسطاني، إلى الشمال من حمام الرفاعي، وقد احترق سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م، فأعيد بناؤه بعد خمسة عشر عامًا[٧٣]، ويُدخل إلى المسجد من الجهة الغربية، حيث يوجد الصحن المفروش بالرخام الجيد، والمنبر من العصر العثماني، والمنارة مدورة وحجرية ترتفع من فوق عقد الباب[٧٤].

٦- جامع منجك ٨١٠ هـ: في الميدان الوسطاني، بناه الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن سيف الدين منجك الكبير في حدود سن ٨١٠ هـ[٧٥]، وقد اختلف المؤرخون في أمر بنائه[٧٦].

وقد ذهب الأستاذ العلبي إلى القول إن الباني هو الأمير ناصر الدين محمد، لأن أحدًا لم يذكر هذا الجامع على الإطلاق قبل سنة ٨٠٠هـ، ولأن المذكور كان محبًّا للعمران وعاش بدمشق سنوات طويلة معزَّزًا مكرمًا، ولأنه مدفون إلى جانب جامعه[٧٧].

وقد جُدِّد المسجد تجديدًا شاملاً في العصر العثماني، في أوائل القرن الرابع عشر، والمسجد اليوم مجدَّد ومعظم آثاره المملوكية تقع في الجهة الشرقية والشمالية، وهو معروف ومشهور، وله أثر واضح في منطقة الميدان[٧٨].

---

70) -وكيل الخاص السلطاني ببلاد الشام، كان قبطيًّا فأسلم كهلًا، فقرَّبه الملك الناصر حتى أصبح الرجل الثالث في الدولة بعد السلطان ونائبه في الشام تنكز، وكان كريمًا يحب العلماء ويقربهم ويُوفي ديون الغارمين، وقد غضب عليه الناصر وصادره فاستقر في أسوان، ثم أحس بالشر فصلى ركعتين، وقال: عشنا سعداء ومتنا شهداء، ثم شُنق في ربيع الأول سنة 724 هـ، وقيل بل انتحر، وكان يومئذ من أبناء التسعين. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، 3 / 16-17.

71) البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 14 / 116، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص 211.

72) خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 326.

73) ثمار المقاصد، ابن عبد الهادي، ص 218.

74) خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 328.

75) سيف الدين منجك الكبير هو نائب الشام، وصاحب المدرسة المنجكية وحمام منجك، خلف ولدًا، يقال له إبراهيم، وله ولد اسمه ناصر الدين محمد، ورث مجد آل منجك، وأصبح السيد المطاع في دمشق والقاهرة، وقربه الملك المؤيد شيخ، فوسع جامع الأقصاب والمدرسة العمرية، وتوفي في دمشق سنة 844هـ عن سبعين سنة، ودُفن في تربته قرب جامعه المذكور في "الجزماتية" اليوم. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، 281/6.

76) -ذكر النعيمي وابن المبرد وبدران وسوفاجيه والمنجد أن بانيه هو إبراهيم، المتوفى سنة 793هـ، ثم عاد النعيمي وذكر أن بانيه هو محمد بن إبراهيم، وذكر كارل والريحاوي أن الباني هو سيف الدين منجك – الجد الأكبر لآل منجك. الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، 444/2، منادمة الأطلال، بدران، عبد القادر، ص 389، الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص 50. الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص206

77) خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 356-357.

78) خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 356-357.

مأذنة جامع باب المصلى، من الجوامع الكبيرة في دمشق التي تشبه الجامع الأموي

٧- جامع النقشبندي ٩٨١ هـ: في حي السويقة بدمشق، غرب مقابر الباب الصغير، وجنوب قصر حجاج، ويُعرف بجامع المرادية أيضًا[٧٩].

أما الجامع فإن لبنائه قصة تشبه قصة جامع التوبة، ذلك أنه كان يُقيم في السويقة رجل صالح، يقال له الشيخ محمد اليتيم الصوفي، وكان إلى جانبه حوش تجتمع به «بنات الخطا»، فاستأجره الشيخ وأخرجهن منه، واتخذ فيه مصلًّى صغيرًا بمحراب.

وعندما دخل مراد باشا دمشق، وأراد بناء جامع، أرشد إلى هذا المكان، فأمر ببناء الجامع والتربة، ورتَّب له خطيبًا وإمامًا ومؤذنين، وبنى فيه الحجرات للغرباء، ورتَّب لهم مطبخًا وطعامًا، كما قرَّر مقرئين لتلاوة القرآن الكريم فيه[٨٠].

٨- جامع الغواص: من جوامع حي الميدان الوسطاني، وهو جامع قديم لا يُعرف له تاريخ بناء سوى أنه جُدِّد في العهد العثماني سنة (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)[٨١]، ثم وُسِّع سنة (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م)، وفي داخله ضريح الشيخ علي الغواص الصوفي[٨٢].

٩- جامع الشيخ يعقوب: من جوامع حي الميدان الفوقاني منطقة الحقلة، يعود للعصر العثماني، ولا يُعرف بالضبط تاريخ بنائه، وهو مسجد له صحن مفروش بالحجارة البيضاء

79) نسبة لبانيه مراد باشا والي دمشق العثماني، الذي دخلها سنة 676هـ، وتوفي فيها في العام نفسه، ودُفن في تربته لصيق الجامع من الشرق، على الطريق العام.

80) الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص195. ولاة دمشق في العهد العثماني، المنجد، صلاح الدين، ص 16.

81) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، عربي كاتبي الصيادي، محمد عز الدين بن حسين، ص 100

82) ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، ص 242، مشيدات دمشق، ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، الشهابي، قتيبة، ص 579.

والسوداء وفيه بركة مُثمَّنة، وإيوان يقوم على ثلاث قناطر، وفي غربيه ضريح الشيخ يعقوب، الذي نُسبت تسمية الجامع إليه، وللمسجد مئذنة مثمَّنة تحتها [٨٣]، وبجواره ضريح لمجدده السيد طالب عقيل (١٢٣٢هـ /١٨١٧م)، وهو الذي أنشأ السبيل تحت مئذنته سنة (١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) [٨٤].

١٠- زاوية الرفاعي (مسجد فلوس من العصر الفاطمي): مسجد زاوية الرفاعي، وفيه محراب هو كل ما بقي من مسجد قديم كان يُعرف بمسجد فلوس، يرجع للعصر الفاطمي [٨٥]، ويمتاز هذا المحراب بنقوشه الجصية المؤلفة من عروق الكرمة الملتفة وشريط من الخط الكوفي المزخرف[٨٦].

١١- مسجد الخانكية: في الميدان الفوقاني، كان له جبهة حسنة فيها زخارف مملوكية يدخل من بابها إلى ممر طويل يؤدي إلى قاعة فيها بركة ضخمة فوقها قبة عالية الأركان وإلى جنوبها وشمالها قبتان أخريان جُعلت إحداهما كتابًا والثانية مسجدًا [٨٧]، والمسجد هُدم قسم كبير منه في المحلق الجنوبي.

١٢-مسجد الجنيد العسكري: من مساجد العهد المملوكي في حي الجزماتية – الميدان الوسطاني – قرب جامع الرفاعي من جهة الجنوب، وفوق بابه لوحة مكتوب عليها: بسملة بتاريخ العشر الأوسط من ربيع الآخر سنة ٧٨٤هـ أمر بنقش جهات الوقف على مصالح المسجد المعمور بذكر الله تعالى وبنية واقفه الفقير إلى الله تعالى الجناب الشهابي بن حيدر العسكري تقبَّل الله منه وفي غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ جدَّد بناءَه عن متولي الوقف المذكور سائل العفو والغفران من الله تعالى الفقير عبدُ الله الجندي).

احترق هذا المسجد إبان الثورة السورية سنة ١٩٢٥م، وفي سنة ١٩٣٥م جُدِّد ووُسِّع، وفي داخله ضريح تنسبه العامة إلى الجنيد العسكري[٨٨].

١٣- مسجد دار القرآن الأفريدونية[٨٩] ٧٤٩هـ: وتقع المدرسة خارج باب الجابية، وقد عدَّها النعيمي من الترب، ولم يذكرها ضمن المدارس[٩٠]، وابن كثير ينص صراحة على أنها دار للقرآن الكريم [٩١].

وزارها كارل ووصفها، وقال إنها تعد نموذجًا مستمدًا من خطط المدارس ذات الإيوانات الأربعة، وإن الباحة والإيوان والقبة فيها مستوحاة من الفن الرافدي[٩٢].

83) ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، ص 235، 242.
84) الشهابي، قتيبة، مشيدات دمشق، ص 605.
85) العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، الريحاوي، عبد القادر، ص 98.
86) ـ الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص 79.
87) ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، ص 212
88) ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، ص 206، مشيدات دمشق، الشهابي، قتيبة، ص 206.
89) ـ واقفها التاجر الكبير شمس الدين أفريدون العجمي، كان من خيار التجار وصلحائهم مشهورًا ومشكور السيرة، توفي في رجب سنة 749 هـ، ودفن بمدرسته المذكورة التي جعلها دارًا للقرآن الكريم، ووقف عليها الأوقاف الجيدة. البداية والنهاية، ابن كثير، 14 / 227.
90) الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، 1/ 276.
91) البداية والنهاية، ابن كثير، 14/ 227.
92) الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص 174.

والمدرسة اليوم ما تزال في مكانها، وفيها قبر الواقف، وتُتَّخذ مصلى لأهل الحي، وتُعرف أيضًا بمسجد العجمي، ويجري ترميمها، وهي مشيدة مملوكية[٩٣].

مأذنة وصحن مسجد الدقاق (كريم الدين) في الميدان الفوقاني بعد الترميم

١٤- مسجد دار القرآن الصابونية ٨٦٨ هـ[٩٤]:

ابتدأ بعمارتها سنة ٨٦٨هـ، وكان فيها جامع بخطبة، وقد اشترط الواقف في هذه المدرسة شروطًا غريبة، منها أن يكون الخطيب شافعيًّا، والإمام حنفيًّا[٩٥].

وصفها كارل الذي ذكرها، وسماها جامع الصابوني، وقد رسمها بدقة، وبيَّن أحوالها في عصره بتفصيل تام[٩٦].

وهي من أجمل مشيدات ذلك العصر، غنية بالعناصر الزخرفية الرصينة التي تؤمن توازنًا تشكيليًّا بتنوع تفاصيلها وتوزُّعها وبتناظر مساحاتها، في مبنية بالمداميك الحجرية ذات الألوان المتناوبة، وبوابتها مرتفعة ومعقودة بالمقرنصات المترفة وفوقها طاسة[٩٧].

والمدرسة اليوم معروفة مشهورة إلى الجنوب من دار القرآن الأفريدونية[٩٨].

١٥- مسجد الزاوية الرشيدية ٧٣٥ هـ: في الميدان الفوقاني غربي الشارع العام مقابل جامع الدقاق، المعروف قديمًا بالجامع الكريمي، لصيق حمام الدرب.

لا تتوفر معلومات وافية عن الزاوية، ولم يذكرها أحد من المؤرخين، وأول من أشار

93) البداية والنهاية، ابن كثير، 14 / 262، الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، 223/2، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص 174، منادمة الأطلال، بدران، عبد القادر، ص319، الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص 89، ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، ص 193، خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 60، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، الريحاوي، عبد القادر، ص170.

94) بناها القاضي الخواجا أحمد الشهابي بن علم الدين بن سليمان بن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني، المتوفى سنة 873هـ، والمدفون في مدرسته المذكورة مقابل الباب الصغير. الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، 1/ 13، دور القرآن في دمشق، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت 927هـ)، ص 17.

95) الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، 1/ 13، دور القرآن في دمشق، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت 927هـ)، ص 17.

96) الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص178.

97) مشيدات دمشق، الشهابي، قتيبة، ص 471. دور القرآن في دمشق، النعيمي، عبد القادر، ص 18.

98) خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 69.

إليها باسم المدرسة الرشيدية كان فولتسينجر، وقد زارها مع بدايات هذا القرن وقال عنها: (ويبدو أن القبة الشمالية تضم قبرًا في داخلها)، لكنه لم يُحدِّد من هو صاحب هذا القبر[٩٩]، ثم تلاه سوفاجيه في تسميتها بالمدرسة، وذكر أنها تربة مجهولة ربما كانت لنائب السلطنة بدمشق (أشقتمر)[١٠٠].

والزاوية اليوم قائمة في حي الميدان، ويُسمُّونها المدرسة الرشيدية والزاوية الرشيدية، ومسجد الشيخ حماد[١٠١].

١٦- الزاوية السعدية الجباوية ٩١٤هـ: توجد في الميدان الفوقاني غربي الطريق العام وشمالي الزاوية الرشيدية، وكانت أصلاً تربة للأمير إينال الجكمي نائب الشام، الذي قُتل سنة ٨٤٢هـ في حوران، ودُفن في تربته، ولم تكن قد أُنجزت بعد.

ثم جاء الشيخ حسن السعدي الجباوي، فسقفها وسكن فيها، وبعده جاء سعد الدين فرفع سقفها وعلاها وجعل لها قماري مضيئة وبيَّضها بالجص سنة ٩٦٤هـ.

مدخل جامع الدقاق (كريم الدين) الغربي، مع المأذنة

وهي مشيدة ذات واجهة واسعة مبنية بالأبلق، فيها ثلاث نوافذ، تعلو سواكفها ثلاثة أقواس ملساء مدببة، فوقها حقول من الأشرطة الزخرفية والمزرَّرة، وترتفع في أعلى البناء قبتان ملساوان متجاورتان، تستند كل منهما إلى رقبة باثنتي عشرة ضلعًا[١٠٢].

99) الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص210.
100) الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص92.
101) خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص 418. وهي مقرٌّ للطريقة الرشيدية الصوفية بدمشق، ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، ص 233.
102) مشيدات دمشق، الشهابي، قتيبة، ص 495.

١٧- التربة الجيبغائية[١٠٣]:

تربة مملوكية في جادة سوق الغنم عند سوق النحاتين على طريق الميدان التحتاني، إلى الجنوب من المدرسة الصابونية، وقبالة القسم الشمالي لمقبرة الباب الصغير، ذكرها فولتسينجر، ونقل عنه سوفاجيه باسم (الولي الشيباني)، جُدِّدت سنة (١٢٢٦هـ / ١٨١١م)[١٠٤].

١٨- التربة السنبلية[١٠٥]:

تقع هذه التربة في الميدان التحتاني على الطريق العام، عند السور الغربي لمقبرة الباب الصغير، بجوار تربة مختار من جهة الشمال، وتُعرف اليوم بتربة آل دركل بعد أن تحولت إلى مدفن لهم.

وواجهة هذه التربة من أجمل واجهات الترب الخاصة في دمشق، مشيدة بالمداميك الحجرية ذات الألوان المتناوبة (الأبلق)[١٠٦].

١٩- تربة مختار[١٠٧]: تقوم

هذه التربة في حي الميدان التحتاني على الطريق العام عند السور الغربي لمقبرة الباب الصغير إلى الجنوب المجاور للتربة السنبلية، وتعد أول تربة مملوكية أُقيمت في هذا الموضع لا تزال باقية إلى اليوم[١٠٨].

خريطة حي الميدان، وأقسامه الرئيسة

103) تنسب إلى الأمير الكبير المعمر سيف الدين ألجي بغا المتوفى بدمشق في العصر المملوكي سنة (754هـ / 1353م)، والمدفون فيها. الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، 2 / 227.

104) الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص190، بعنوان (الولي الشيباني)، الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص90.

105) أنشأها في العصر المملوكي الأمير سنبل بن عبد الله الطواشي، الذي توفي سنة (827هـ/1424م) ودفن فيها. الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص 191، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، الريحاوي، عبد القادر، ص 175.

106) الشهابي، قتيبة، دمشق تاريخ وصور، ص 309-310.

107) تضم قبر الطواشي ظهير الدين مختار، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق، المتوفى في العهد المملوكي سنة (716هـ / 1316م) لذلك نُسبت تسميتها إليه، والاسم الشائع لهذه التربة هو (تربة الشيخ حسن) أو (مدرسة الشيخ حسن راعي الحمى). العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، الريحاوي، عبد القادر، ص 174. الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص95.

108) الآثار التاريخية في دمشق، سوفاجيه، جان، ص 95، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، الريحاوي، عبد القادر، ص 174.

٢٠- حمام الدرب: في حي الميدان، مقابل جامع القبيبات أو الجامع الكريمي، وكان يقع إلى شماله حمام الجديد وبيت المهايني.

وفي إبان الثورة السورية أصابه قصف القنابل الفرنسية، فجدَّدته الحاجة «حسيبة النوري»[١٠٩].

٢١- حمام الرفاعي – القرن العاشر –: في الميدان الجزماتية، شرقي الطريق العام وهو من الحمامات الأثرية المسجلة، وعليه لوحة تشير إلى أنه من حمامات القرن العاشر[١١٠].

٢٢- حمام فتحي ١١٥٦هـ: في الميدان الوسطاني، غربي الطريق، يُنسب إلى فتحي أفندي الدفتردار الذي كان مديرًا للمال في دمشق، وقد قُتل فتحي أفندي على يد أسعد باشا العظم سنة ١١٥٩هـ[١١١].

أما الحمام فقد جدَّده السيد شفيق النوري سنة ١٣٦١هـ، ثم أُغلق وتحوَّل إلى مستودع للحبوب، ثم قامت الأثار بترميمه، وهو اليوم يُستخدم كقاعة للمناسبات الاجتماعية[١١٢].

---

109) الحمامات الدمشقية، كيال، منير، ص202، خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، ص511.

110) الحمامات الدمشقية، كيال، منير، ص 124. الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص 206.

111) الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، 1/ 13، دور القرآن في دمشق، النعيمي، عبد القادر بن محمد، ص17، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص178.

112) الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ)، 1/ 13، دور القرآن في دمشق، النعيمي، عبد القادر بن محمد، ص 17، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، ص178.

_ الخاتمة:

إن بداية حي الميدان الفعلية تعود إلى العصر المملوكي، حيث تأثر بالجانب العسكري لهذه الدولة، فجاءت كلمة الميدان من ميدان التدريب، كما تأثر بالعامل الديني حيث شكّل المصلى عاملاً آخر من عوامل نشوئه، كما تأثر بالعامل الاقتصادي المتمثل في دور قافلة الحج وتجارة الحبوب، من خلال امتداد الشريان الرئيسي للحي الذي عُرف بالطريق السلطاني والطريق العظمى، وكان اسم مدخله الجنوبي باب اللّه.

وقد أسهمت تجارة القمح، وما نتج عنها من بناء البوائك، على امتداد الشريان الرئيسي للحي، في إضفاء خصوصية على هذا الحي، جعلت دمشق تكتسب طابعًا خاصًّا بين المدن العثمانية الكبرى.

وكانت الأبنية المعمارية في حي الميدان تشمل الأبنية الدينية مثل المساجد والزوايا، وكذلك الأبنية المدنية مثل الحمامات والخانات والبوائك وغيرها .

مصادر البحث ومراجعه

ـ المصادر:

ـ البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، بيروت، دار التراث العربي، ١٩٨٨م.
ـ تاريخ ابن قاضي شهبة، ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٤م.
ـ تاريخ البصراوي، البصروي، علي بن يوسف، تحقيق أكرم حسن العلبي، بيروت، دار المأمون للتراث، ١٩٨٨م.
ـ تالي كتاب وفيات الأعيان، ابن الصقاعي، تحقيق وترجمة ج. سبليه، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٤م.
ـ تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، الخياري، إبراهيم، بغداد، وزارة الثقافة، ١٩٦٩م.
ـ ثمار المقاصد، ابن عبد الهادي ويليه ذيل ثمار المقاصد، طلس، أسعد، دمشق، المعهد الفرنسي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م.
ـ حوادث بلاد الشام، العبد، حسن آغا، تحقيق يوسف جميل نعيسة، دمشق، دار دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
ـ حوادث دمشق اليومية، الحلاق، أحمد البديري، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٥٩م.
ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
ـ ذيل الروضتين، أبو شامة، بيروت، دار الجيل، د.ت.
ـ الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية، عربي كاتبي الصيادي، محمد عز الدين بن حسين، تحقيق صلاح الدين خليل الموصلي، دمشق، دار الفارابي للمعارف، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
ـ الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، القساطلي، نعمان، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢م.
ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، بيروت، دار الجيل، د.ت.
ـ غرائب البدائع وعجائب الوقائع، ابن الصديق، حسن، تحقيق يوسف نعيسة، دمشق، دار المعرفة، ط١، ١٩٨٨م.
ـ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ابن طولون، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٦٢م.
ـ منادمة الأطلال، بدران، عبد القادر، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
ـ نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق، ابن عبد الهادي، يوسف، تحقيق حبيب زيات، مجلة المشرق، العدد ٣٦، سنة ١٩٣٩م.

ـ المراجع:

ـ الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ولتسينجر، كارل، وواتسينجر، كارل، تعريب قاسم طوير، تعليق عبد القادر الريحاوي، مديرية الآثار العامة، دمشق، ١٩٨٣م.

ـ آداب المريدين في التصوف، الشيباني الموصلي، صلاح الدين خليل، دمشق، مكتبة الموصلي الشيباني، ط١، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

ـ الحمامات الدمشقية، الكيال، منير، دمشق، دار دمشق، ١٩٨٦م.

ـ حي الميدان في العصر العثماني، مارينو، د. بريجبت، ترجمة ماهر الشريف، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ٢٠٠٠م.

ـ خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة، العلبي، أكرم حسن، دمشق، دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

ـ الدارس في تاريخ المدارس، النعيمي، عبد القادر بن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

ـ دمشق بين عصر العثمانيين والمماليك، العلبي، أكرم، دمشق، الشركة المتحدة للطباعة والنشر،١٩٨٢م.

ـ دمشق تاريخ وصور، الشهابي، قتيبة، دمشق، مؤسسة النوري للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٩٠م.

ـ دور القرآن في دمشق، النعيمي، عبد القادر بن محمد، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط٣، ١٩٨٢م.

ـ صفحات في تاريخ دمشق في القرن الحادي عشر الهجري، كناش إسماعيل المحاسني، تحقيق صلاح الدين المنجد، مجلة المخطوطات العربية.

ـ مدينة دمشق، جبر، صفوح، مشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٦٩م.

ـ مرآة الشام، العظمة، عبد العزيز، تحقيق نجدة فتحي صفوت، دار رياض نجيب الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٧م.

ـ مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، الشهابي، قتيبة، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٠م.

ـ معجم دمشق التاريخي، الشهابي، قتيبة، دمشق، طبع وزارة الثقافة، ١٩٩٩م.

ـ ولاة دمشق في العهد العثماني، المنجد، صلاح الدين، دمشق، ١٩٤٩م.